

الحسناء

الجزء الثاني

المجلد الاول

بيروت في ٢٠ تموز سنة ١٩٠٩

مدمام رولان

خدم الانسانية في الثورة الفرنسية كثير من السيدات وكن فيها مثالا لمكارم الاخلاق ونبراسا للحرية والاخاء والمساواة بعد ان هيجن الافكار ونشطن المهم . جاهدن جهاد الابطال لاجلخلص من الاستبداد والظلم وللاصلاح المعادات والتوانين والنظامات . اشهرهن اثنتان مدام دي سنال المكتوبة سيرتها في الجزء الاول من الحسناء ومدام رولان موضوع هذه السطور بيد انهما وان تشابهتا بالشهرة ما تاناننا بالحظ اذ لم تنج الثانية من غوائل الثورة كالاولى ولا فازت مثلها بحرق الدماء وتخليص الابرياء . ولا عاشت لتري شيئا مسرّاً من نتائج جهادها في سبيل خير بلاذها بل قضت شهيدة الحرية على مذبح الفظاعة في هيكل الفوضى فحق لاسمها ان يسمى ولذكراها ان يُحمد

ولاريب في ان السيدة العظيمة التي تنبع من بين جذران الحمول وترتقي من الكوخ الى التصر ناهضة من احضان الامامة الى صدور بحال الخاصة وتشجع قريتها على اقتحام المظالم وترشده في الادارة والسياسة وتوصله الى منصّة الوزارة وبعد ان تسبب عزله منها تميده اليها رغم ارادة



﴿ مدام رولان ﴾

من السجن الى الاعدام

الملك واعوانه وتضرم نيران الثورة الاصلاحية ولما ترى جموح نفوس الثوار تقاومهم لكبحها وتذهب ضحية هذا العمل المبرور فيستصعب قرينها بعدها الحياة ويكره الدنيا فينتحر - لا ريب في انها جديرة بحسن الاسم وبعد الصيت وتخليد الذكر

لا سيما لانها مع كل ذلك ما تلاهت عن تدبير منزلها وادارته ولا اهتمت تربية كريمة وتعليمها بنفسها ولا تضامنت عن تأوهات المرضى ومطالب انساكين ولا اكتفت بما تعلمته في المدرسة ولا استسلمت للتكبر والكسل بل كانت على عكس هذه الامور حتى انها فضلت الموت فداء زوجها واقتبلته بشجاعة نادرة المثال

وهي مانون - جان فليون - مدام جان - ماري لوران - ابنة حفار خامل عتيقة سياسي مشهور - ولدت في باريز في ١٧ اذار سنة ١٧٥٤ في بيت خيمت عليه عناكب العرفساء احواله وحوى من الاضداد في ربه ما قلما يرجى منه للاولاد تربية حسنة وان عادل الصلاح الفساد اذ جمع بين دماء اخلاق الام وتناغتها بما تيسر من هبات الله وطيب قلبها ورقة عواطفها وبين رداءة الاب الطماع السيء الاطباع وحقدته وتذمره . ومع ذلك اصاب الفتاة تربية جيدة وتعليم وافر بعناية هذين الوالدين لمعرفتهما قيمة التربية وادراكهما اهمية التعاليم وقيامهما بما تقتضيه واجبات الامومة والابوة

ف تعلمت القراءة والكتابة في الرابعة من عمرها وهذا من اغرب ما يروى عن النابغات الشهيرات واجتهدت بالتعلم ونجحت سريعا في تلقي العلوم اخضاها التاريخ والرسم والموسيقى وختمت دروسها بعلم اميرالديك وابدت منذ حداثتها ذكاءا بالقراءة عزيمة وحزما شديدا ولم تذهب مع الاوهام بل لم تعتقد الا بما تقتنع به وترى فيه الحق وهذا نادر في

الاحداث ايضاً كندرة اشتغال اترابها مثلها بخدمة المنزل بمحذقة ودراية مع التعلم والدرس . وطالعت تراجم المشاعير وتولعت بكتاب فلو ترخس سير عظماء اليونان والرومان وكانت تصحبه معها الى الكنيسة ولم تتجاوز بعد التاسعة من سنيتها وهو الوقت الذي بدأت فيه الافكار الجمهورية تختلج في رأسها دون ان تفهمها كما صرحت فيما بعد . وبلغ بها هذا الامر الى ان صارت تناجي به نفسها وتقابل بين عظمة اليونانيين والرومانيين وبين اختلال احوال فرنسا وتبكي لانها لم تولد اسبرطية او رومانية ثم لا تلبث الافكار الدينية ان تتحو هذه التصورات

وبما ان والديها لم يستطيعا الاتفاق على تعليمها كما ينبغي ادخلتها والدتها الى دير لتعلم فيه اجابة لرغبتها فابتدت من الرزاة والاجتهاد والمحافظة على النظام والقانون والاكثار لذاتها اللطيفة المستقيمة ما جعلها ممتازة على البنات الزقات الطائشات وقدوة صالحة لرفيقاتها وفخرًا للمعلمات والصديقات . وانجذبت الى المذهب الكاثوليكي . وبدأت بالانشاء بمكاتبة صديقة لها ذات عواطف عائلية كريمة فتسهب عليها الكناية وازداد ذوقها تحسنًا فيها ولما عادت الى البيت وهي في عامها الرابع عشر اخذت تتمرن على الكتابة وتراولها حينًا بعد حين وجعت خلاصة مطالعاتها و اضافتها الى ما امتصجته معها من الدير من المنتخبات اللطيفة ودرست مبادئ الطبيعيات والرياضيات ولم ترك كتابًا مهما كان موضوعه الا واطالته . وفهمت افكار بوسيه واراته الفلسفية قبل ان تدرك السابعة عشرة وطالعت تعاليم الفيلسوفين ديكارت وزينون واللاهوتي جانسينيس وسواهم

مع كل ذلك لم تتذمر منذ تركها المدرسة عن القيام واجباتها المنزلية تحت ادارة امها لاعتبارها اياها من اهم واجباتها ولم تستكف من مشترى لوازم

المنزل بنفسها ولا استسحت بالشغل ولا رأته معيباً ولا اعتبرت اللهو غاية الحياة فذاع صيتها بين الشبان والكهول فمالوا اليها واحبوها ورغب كثير منهم في الاقتران بها واذا لم تكن بعد قد اخترت جيداً اخلاقهم ونفوسهم رفضت . وكانت تقول لوالديها - ان الطبيعة والشرائع قد اتفقت على وجوب تفضيل الرجل على المرأة فاخجل ان اختار من لا يكون اهلاً لهذا المقام السامي . و اراد امير عاقل ان تكون عروساً لابنه الطائش الجاهل لتهديه بحكمتها سواء السبيل فابت على ان هذا الامير له فضل عليها اذ نشطها على التأليف والكتابة ومكنها من معايشرة الوجهاء والاعيان

وعندما بلغت الحادية والعشرين من عمرها منيت بوفاة امها فتأثرت كثيراً ولم تحمل شدة الحزن فرضت وباجهد استعادت صحتها وتعافت . ومع اهتمامها بتدبير منزلها لم تهمل المطالعات والكتابات الفلسفية بل ثابرت عليها وصارت تكتب وتخطب في اهم المواضيع المفيدة فانتدبت خطب بوردالو وفي حفلة عمومية للاكاديمية الفرنسية بحث في موضوع مهم عرضته اكاديمية بيزانسون فدهش الناس منها وقدروا لها مستقبلاً حسناً لاسيما لما راوا الشهرة لم تذهب بها في بوادي الاغترار والمباهاة . وشهرتها كانت سبب معرفة رولان بها فاحترمها واحبها وطلب يدها فاجابت بعد التروي بالانحجاب وكان هو مفتشاً للمعامل في ليون وذا وجاهة وماثر

فاقترنت به في ٤ شباط عام ١٧٨٠ وعمرها اربع وعشرون سنة وذهبا لانزهة في ايطاليا ولم ينغصها فيها سوى فراق ابيها وبعد ان اقاما سنة في باريس طبع فيها رولان مجموعة فنية ساعدته بنسخها وتنقيحها انتقلا الى اميان ومنها الى ليون حيث ذاق لذة الامومة مع هناء عيشها وتمتعها باحسن ما تتمناه درة بيت . ولم يكن هناؤها متأتياً من الثروة ووفرة الخدم او من مكارم اخلاق القرن فقط بل

من الاجتهاد بالقيام بالواجبات المنزلية والانسانية دون اكمال على احد فكانت عندما تنحرف صحة رولان تمرضه وتدير الطعام المناسب له بيدها وتعامله معاملة ام لابنها على ان عمره يكاد يناهز عمر ابنيها . ولما ولدت ارضعت كريمةها وربتها وعلمتها دون استخدام مرضع ومربية وفي مصيفها في لابلاتيه كانت تعود المرضى وتتفقد المساكين فتعالجهم وتحسن اليهم وتعزيهم

قالت مرة - صرث امرأة رجل فاضل قد اذدادت محبته لي بزيادة معرفتي لكن شعرت بانه يخل بواجب المساواة بيننا لتأصل خلق التسلط فيه عشرين سنة اكثر مني فكنت انهمك في اشغاله لاسيما التي تتعذر عليه حتى عودته ان لا يستغني عني بشيء في العالم ولا ساعة واحدة

وهكذا كانت تعاون زوجها في جميع اشغاله الى ان جعلته مديونا لها بشجاعته معارفه حتى وبوزارته ايضا اذ كانت تنبه افكاره وتصحيح اراءه وانشاء وترشده في كل امر . ساحت واياه في انكلترا وسويسرا ولما مرت في جنيف شككت فيها لانها لم تر فيها تمثالا لجان جاك روسو . ولعل ملاحظتها من جملة العوامل على نصب هذا التمثال في ما بعد

على ان ما تقدم لم يكن شيئا مهما في سيرتها بالنسبة الى ما يأتي لانها حالما بدأت مظاهر الثورة تلقت اخبارها برغبة وسرور كمدام دي ستال واعتبرتها خيرة حافظ لاستقلال فرنسا واقرب سبيل خلاصها من انياب المفاسد واحسن بشرى بتغير تلك الاحوال فبذلّت جهدها بالترغيب فيها والحض عليها ودفعت مواطنتها الى مناصرة ثورتها وتعاونت وقرينها على كتابة المواضيع المناسبة لها في جريدة ليون وجرائده على ترلي الزعامة وادارة الثورة مع اصدقائها فوثق به الاحرار وانتخبوه نائبا عن المدينة في مجلس الامة وكتبت مقالة بديعة في وصف اتحاد اللينوين بيع منها اكثر من ستين ألف نسخة فأعجبت بقدرتها الكتابية فتششطت وسار قلمها في

ميدان البلاغة شوطاً بعيداً وقد برهنت ايضاً على معرفة جيدة باحوال بلادها ومقدرة فائقة على التدقيق بتبع الحوادث العمومية . فاستاء المستبدون منها وحققوا عليها متهددوها بالقتل وترصدوها دون ان تتحول عن عزمها او تتوانى في حزمها ولو ادى بها الجهاد الى الموت كما ادى . لان من خلال ذلك تراءى لها نجاح المبادئ التي نشأت عليها واحبتها ولم تراسب منها لخير امتها . ورافقة رولان الى باريز عند مذهب ناثانغين ليون وبادرت الى المجلس العمومي وانضمت الى ابيرونديين وكانت تحضر اجتماعاتهم وتباحثهم وتبدي لهم من الاراء الجلية بالاساليب اللطيفة ما جعلهم يقرمونها كثيراً ويأثرون باوامرها ويستهون بنواهيها حتى أعلن في مجلس الامة انها روحهم الراقية ولماذا لقبوا بالرولانديين نسبة اليها . ولم تقصر بته في الكتابة لجريدهم بل ساعدت ايضاً بانشاء جريدة جمهورية لم يصدر منها الاعدادان وقد تساءلت على افكار زوجها وقوى نفسه واحاطت بكل ما يرق له لتعش على ذوقه ولما ائنت وذيقته في ليون (مفتش معامل) بعد حل مجلس الامة استعادتها له في باريز وايدت علاقتها مع الثوار واخذت تبث افكارها بينهم بوجوب تأليف وزارة جبرنودينية وتحضهم على ذلك وما برحت تسمى حتى فازت بتأليف هذه الوزارة وانتخب رولان فيها وزيراً للداخلية فتحققت حينئذ عظمها وقالت - تأثرت كثيراً من تراحم الرجال لنيل الوظائف وتأكدت انني كنت محبوبة مثل غنيمة كريمة في دير على اني دائماً كنت ارى الذين يفوقوني بالحزم أكثر اهلية مني

ولم يزل اجل وزارة قريتها كثيراً لانه لما سئل الاشارة على الملك لويس السادس عشر باعلان الحرب على الهاجرين وامناتهم كتبت باسمه لاداك كتاباً قوي الحجة عظيم التأثير . فأنهذه احد الوزراء حجة للوشاية على زميله لما فيه من الاراء الجمهورية الحرة فعزل الملك رولان فبادرت زوجته الى توطيد العلاقات

مع الزعماء الجمهوريين وتداخلت مع بارباروا فاطمها على لائحة المتحالفين التي تأول الى قلب العرش وتاليف الجمهورية وكانت قد اشارت على قرينها بعرض الكتاب على المجلس العمومي لتعلم الامة سبب خلعها ففعل ولم تكتف بان عد عزله ضحية لحب الوطن بل حملته على طبع كتابه وتوزيع نسخه في كل المملكة فهاجت الامة واضطرت الملك الى ارجاع الوزير الى منصبه

وتعبت كثيراً في تمثيل هذا الدور المتنازع على مسرح السياسة انما سلت اتعابها بما اصابته من النجاح وصارت تدير اشغال الوزارة باسم زوجها ودفعته الى التنكح من الفضائع التي يرتكبها الثوار فاوغرت صدورهم حقناً عليها مما من هنا بدأت مصائبها . على ان مجدها لم يقف عند حد بلوغ رولان وزارة الداخلية بل تجاوزته الى الاستشهاد في سبيل الحرية . ولم يكن كرهه للثوارين المتطرفين لها ناشئاً عن جهل لمواهبها بل متأثراً من سوء ظنهم بها اذ توهموها تميل للملكية ضدهم بينما هي كانت ترغب في حقن الدماء وصيانة الابرياء والاعتدال بالتخلص من الاستبداد دون ارتكاب ما تأنف منه المواطنين وتشتك له الاسماع وقد بلغ منهم سوء الظن الى ان حاولوا منع رولان من الاعتماد على اراءها وعندما انتظم في مجلس الاتحاد الوطني وسئل بان لا يترك منكرته . صاح داثون احد زعماء الثورة بقوله - اذا دعوا الخواجة الى ولاية فليدعوا عقلته . انا اعرف كل فضائل الوزير ولكن نحن محتاجون الى رجال لا يسرون حسب اراء نسايتهم

واخذ اعداؤها يتهمونها بالانحراف عن جادة الثورة لانهم لم تعد ترضى بسياساتهم وفضائلهم الفائقة اما فكانت تدافع عن نفسها جاهدة وسعت لاستمالة فريق وافر منهم فنجحت بعض النجاح وقد شبهها الخطباء بسيرسي الساحرة التي لعبت دوراً مهماً في اوديسة هوميروس واستعظموا الولائم التي كانت تقيمها بمثابة

غذاء أو عشاء للزعماء وقد وشي الأعداء بها مرة إلى المجلس الوطني وبفضل فضاء احتها
أدستهم واسكتهم واضطرت الرئيس إلى الاعتذار لها وتهنئتها بتهربتها مما نسب
إليها وهذا آخر فوز ذلته قبل الظفر بالموت استشهاده في سبيل الحرية والاستقلال
والأسمى أن روبيسبيير الذي خلصته مرة من القتل كان من أشد العالمين
على قتلها. وقد قال لامرأتين الشاعر السياسي - لاشك أن مدام رولان ذكرت
في سجنها الآلة التي خلصت حياة روبيسبيير فيها فإن كان هو أيضاً قد ذكرها
وهو في أمة مجده وقوته فلا ريب في أن ذكره لها كان عليه أشد من وقع السهام
ولما رأت ما آتت به آوار الفداية ولم يعد بإمكانها أية أفهم عند حد محدود مع
ما بذلته من الجهد في حفظ حزبها على مقاومة المتطرفين حزنّت كثيراً ولم تعد
تتمنى بعيشها لاسياوكل ريم كثر يبدو لها فيه خطر جديد وصارت حيانها ممرضة
لادوت في كل آن فأشير عليها أن تذهب خارج سراي الوزارة فلم تحف ولم تفعل
أخيراً يشت من شمس الحال فمرضت رولان على الاستقالة فترك الوزارة. ولم
يمكّ المثلثون من أخذها بها حتى ذفروا بأمداد الحكم بالقبض عليها وبمحاكماتها
فسهلت لرولان سبيل الحرب وكان بإمكانها الخلاص لكنها بقيت وقالت -
الاعتماد بتخليصي من الظلم أصعب عليّ من احتماله - وبمّا حاصها البطل يوريبير .
فقبض عليها وألقيت في سجن مظالم خفيف فأبدت عظمة سامية وقدوة جليمة
للمسجونين

وعندما هبّ لها أعداؤها سبيلاً للفرار رفضت لئلا تنبه غضب أعداء
قريبها وتثير مكان حقدهم عليه فيجئون غداً ويذيقونه من النكال وفضات البقاء
على عزمها ولم تنبره بانه وتذكرت في سجنها الامبراطور تاسيت الرمداني الذي
قتل بدسيسة اشهر من توليه العرش فألمت له من اعماق فؤادها وذات لا ترام كل
ليلة الا بعد ان تطالع بعض اقواله الممثلة لحالتها. وتحملت مضض السجن ورطوبته

وعفته بشجاعة وصبر نادرين تصورها بان النتيجة تكون موافقة لنفع بلادها وكانت تصرف أوثانها بمراجعة اللغة الانكليزية وكتابة المقالات السياسية وابتدت من ثبات الجلس عندما استنطقوها ما ادهش الحاضرين وكانت تدافع بجلد فائق الوصف الى ان سألوها ما يس بشرقها فتأثرت ولم تعد تمي : ولما جاءها المحامي شوفولا كارد لينارضها في المواد التي اعدتها للمدافعة عنها استقبلته بسكينة وكلمته ببرودة ثم بكل تأثر سحبت خاتماً ثيناً من اصبعا وقدمتها له وقالت - لا تاتي غداً الى المحكمة لثلاثتك . دون ان تخلصني . اقبل هذه الاجرة الوحيدة التي تقا ر معرفتي للجميل ان أقدمها لك الان لانني غداً لا اكون وهكذا كان وقد حكموا عليها في الغد بالاعدام وقرروا تنفيذ الحكم حالاً فاحتملت المحاكمة وسمعت الحكم ينتهي الشجاعة وفيما هي ذاهبة الى المحكمة ثوبها الابيض انصاع وشعرها المدلى الى صدرها كان الناس يرافقونها ويبدو من حزنهم عليها لاسيما النساء كما يظهر من الرسم في صدر الحسناء وهي تعزيهم عنها بتأثر لا يرصف وتنشطهم على احتمال المصائب كما كانت تنشط السجناء البائسين الذين حتى اشرسهم واشقاهم كانوا يحبونها كثيراً واحدهم قدم لها سريره كرماء عندما نالت لمكان رطب عتيق بلا غطاء ولا فراش وكان رفيقها الى ساحة لاعدام مدير اوراق المملكة لامارش فرأته خائفاً فبشت بوجهه بلا ف واخلاص فبسم ولما وصلوا بها الى الساحة التفتت الى قتال الحرية وقالت بلهجة بديعة - ايها الحرية كم من الجرائم يرتكب الناس باسمك ايها الحرية - كم يتلاعبون بك اليوم وعندما هموا باعدامها طلبت قائماً وورقة لتكتب خواطرها امام القامات كأنها في المكتب اذ لم تفقد شيئاً من ادراكها وهما شاة بة فلم يجيبوا طليها فاحنت رأسها الى الجلال بصفاء وجهه وسكون فاعدمها الحياة وكان ذلك في

الثامن من تشرين الثاني سنة ١٧٩٣ قبل ان تبلغ الاربعين عاماً من عمرها وصفها ريوف الكاتب بانها كانت ذات روح جمهورية في جسم محبوب من اللطف ومصوغ من اداب الزعامة الحقيقية . كانت تتكلم من نافذة السجن بحرية وشجاعة رجل عظيم بكلام جمهوري بفرنسية عذبة : وكانت تلوم اصدقاءها لتطرفهم . وعندما كانوا يهينون لها آلة الموت كانت اعجوبة الثورة . السجناء كلهم كانوا مندهشين متحيرين . حديثها كان مرتباً وقوراً رزيناً بلا برودة . فتكلم بنزاهة وصفاء ورنه لهجتها الموسيقية لا تشبع الاذن منها . وكانت عظمتها تبدو بوضوح عندما تبكي لذكر كريمتها وقرينها لما فيها من مزج لين العواطف وشديتها

وكانتها كانت عالمة بآسجل رولان بقولها انه لا يعيش بعدها اذ بعد وفاتها بسنة ايام قد انتحر تاركاً ورقة صغيرة كتب فيها انه لم يعد له صبر على الحياة في عالم ملوث بالاثام . وليس هذا عليه بكثير لان حياتهما المائتة لم تكدرها غيمة نكد ومنزله كان مديراً بالترتيب والاقتصاد وبعد النظر وجودة المبادئ وقد قالت عنه مرة - انه لم يكن ضعيفاً في حسن الادارة وانما براستي ازدادت قوته وصارت اكثر تأثيراً لانني كنت اضع في كتاباته مزيجاً من الشدة واللف بقوة الحق وحسن العواطف التي لا تختص بها الامراة حساسة ذات عقل سليم

اما معارفها فكانت واسعة عريقة . وعقلها كبيراً وقلبها كريماً . سيالة القرينة تكلماً وكأبة . تكتب في الانكليزية والاطالية بسهولة ودقة وفي انفرنسية لغتها الاصلية بفصاحة وبلاغة

فغيرتها الوطنية ومحبتها للانسانية وشجاعتها ونشاطها وفطرتها الطيبة وارتقاؤها بالكد والاجتهاد وعظمتها وزبالتها . مبادئ سامية تحرية بان تلقنها الامهات للبنات

المرأة والدين

تدّينت المرأة وامتازت بالتدين والتقوى من قديم الزمان واشتهرت بكثرة الورع وصدق العبادة وحسن الايمان . وقد نعت الانسان بتمسكها بالدين وموازنتها للمشرعين نفعاً ثميناً يفوق الوصف وافادت العالم بمواطنها الدينية وغيرها المذهبية افادات جليلة يفوتها العرف . وفهمت ارادة الله كما علمت وايدت مشيئته مثلاً عليها تدربت واشبهت النفس احدى مغزياتها وكفتها اولى احتياجاً ولم تدع الرجل وحده يتحمل غناء الاشتراع ويقاسي مضض المقاومة والاضطهاد ويتعب بالتبشير والارشاد بل عاوته في كل ذلك بامور سطرها التاريخ وحققها ان تكتب بقاء الذهب . وكانت ولا تزال تؤيد بلطفها مكانة العقائد وتادف بليانها شدة الجحود . ولكم من مذهب ما عاش لولائها ومن غفيدة دونها لم تكن قبالت بحجة المقتطف نقلاً عن الامير علي احد علماء الهند وقعاتها المشاهير - ما بحث احد عن اصل الاديان الا ورأى امرأة عند ينبوع كل ديانة روحية ثبت الحياة في ذوبها

وقد عرف الباحثون هذا الامر وتأكدوه ولم يبق مجال للريب فيه وصفحات التاريخ مفتوحة للباحثين وهي وان قصرت احياناً عن ذكر ذلك تصریحاً واوزت ايضاً فكادت تلبس الحقائق على بعض مستطاعها اياها وتتقاص امامهم ظلال علمتها فيتوهمون خلاف ما يكون الا انها معوضة تلميحاً ومسبهة دلائل والتلميح والاستدلال كثيراً ما يغنيان عن التصريح والبيان فقد استدلينا على اهمية تأثير المرأة في الدين وعظم خدمتها له عند اقدمين من آلهيهم لها واتخاذهم اياها معبودة واقامتها كاهناً للمعبود واعتبارها نبيةً ووسيطاً

بين الالهة والبشر . فضلاً عما رواه بصريح العبارة بعض المؤرخين . فكان البابليون والاشوريون واليونان والرومان واهالي مصر وفينيتيا وغيرهم يعبدون الالاهات كالآلهة ويقعون لها التماثيل ويشيدون الهياكل ويختصونها بكنهة وكاهنات . وطالما سجد الاسيويون لسميراميس الشهيرة وهي لم تكن غير ملكة اشورية عظيمة الموهبا باسماء متعددة كانت اولانا وااستار وعشتروت وانتارانا وقد اثبت العلامة رمساي انه كان للنساء في اسيا الصغرى المقام الاول في امر الدين كما روى العلامة الدبس في تاريخ سوريا . والفينيقيون في ايام مجدهم قد اعتبروا الالاهات والالهة اقنوماً واحداً يهتئين مختلفتين وكان كهنتهم يلبسون في الاعياد ملابس النساء ويخضون وجوههم بالحمرة ويذجون حواجبهم ويكحلون عيونهم ويمرون ايديهم الى الكتف ويرغون ويرقصون . وكثير من الهياكل شادتها النساء وبعضها اعظم : شاده منها الرجال كالهيكلي الذي شادته استراتونيكا ملكة اشور في هيارابوليس وراء لوسيان الروماني في القرن الثاني بعد المسيح اعظم هياكل زمانه . ولا يخفى ما في هذا العمل من تعزيز مظاهر الدين وتوطيد اركانها الحسية المنظورة كما لا يخفى ما فيه من النفع لا قوام ما ارتقت مداركهم الدينية لاكثر منه

هذه لمحة موجزة من تأثير المرأة السالفة في الدين البائد وخدمتها له وحسبها منه الكهانة فقط فضلاً عن التأله . اما تأثيرها في الدين الحالي واشهر انواعه اربعة الموسوي والبوذي واليسوي والحمدي فهي لم تنصرف فقط بوزارة المشترعين وتنهمم الشخصي بل اتصت مباشرة الى العموميات فتركت فيهما خدماً جليلة تذكر لها بالشكر على ممر الدهر

ولد موسى الكليم في مصر والاسرائيليون فيها مضطهدون فكاد يتناوله امر فرعون بقتل اطفالهم لو لم تكن امه يوكابد ذكية عاقلة صنعت له وعاء وضعته

فيه واخفته بين الخيزران على ضفة النيل فحرسه شقيقته وجاءت ترموتيس ابنة
 فرعون لتغتسل فرأته واخذته وبواسطة اخته مريم سلمته لوالدته لترضعه دون
 ان تعرفها من تكون له فارضته مع الحليب حب الاله الحق والغيرة على بني
 قبيلته وحفظ التقاليد العبرانية حتى اذا كبر يظل اسراياليا بنفسه ولو صار وزيرا
 للمصريين ولما كبر موسى ورأته ترموتيس مستعدا بنظرته للتعلم علمته عند الكهنة
 علوم قومها وكانت ارقى علوم ذلك الزمان وصاتته من شر حسدهم من ذكائه
 وخوفهم من مستقبله وانجاس الملك بسعايتهم خوفا منه . وبعد قتله المصري
 لضربه العبراني هرب من مصر الى ارض مدين فازوجه كاهنهارعوثيل كريمة سفورة
 فكانت عوناً له في كل اعماله وخلصته من القتل عند ما هم به الملاك في الطريق
 وهوأت خلاص اسرايل كما الهده الله فبادرت حالاً الى ختن ولدها اليعازار
 بصوانة لئلا يذهب الوالد لبحرية اهماله ختانة الولد . وبعد التحرر من ربة
 المصريين ذهب الكاهن رعوثيل لزيارة سفورة فرأى زوجها متعباً بالتضا
 للشعب فاشار عليه باقامة قضاة له من العقلاء والفضلاء . واختلفت الاقوال في
 اخته مريم فقال بعضهم انها تزوجت وزوجها حور كان عوناً لاختوها موسى وهارون
 على غلبة العمالة في الحرب فان صح هذا القول او لم يصح فلا شبهة في انها
 ظلت موازنة له الى اخر ايامها في اشغاله العمومية بدليل ما رواه يوسفوس عن
 احتفاء الشعب بالاهر بدفنها في قادش وانفاقه على الاحتفال من ماله العمومي
 وورثائه لها شهراً وبقاء السكان يدلون على قبرها الى ايام اوسابيوس . ولما الهه
 الله موسى ان يقيم مظلة عظيمة ليعبدده الشعب تحتها بناء على ان المنظور اكثر
 تأثيراً في النفس من غير المنظور كانت النساء تأتيه بأسورتهن وخواتهن وقلائدهن
 وكل ما عندهن من الحلى والجلود الثمينة والارجوان وكل حاذقة تغزل بيديها
 القماش اللازم

ويؤذه الحكيم الهندي المنسوبة شريعته اليه وعدد اتباعها اليوم نحواً من خمسة مائة مليوناً من الناس ذاق لذة الطعام الشهوي بعد الصيام الطويل من يدفاعة قروية قدمت له الابن والعسل ولما انتشرت دعوته وتهافت الهنود على اعتناق مذهبه جاءته عنته كوتامي وسالته ان ينشئ جمعية للنساء ليتلمذن له فيها كجمعيته للرجال وبناء على الحاجها والحاح بنات جنسها الف جمعية منهن هن وجبل ادارتها لهن. وعندما قولى ملكة فا كود ملك لا تملك اليه وقد اضطهده وطارد انصاره ونهب بلاده وخربها بقيت المرأة على ولائه حتى ان الملك قتل احد نسا ابويه لانها اوقدت مصباحاً اكراما لبوذه . وكتب الهنود مملوءة من مآثر الامراة في الدين البوذي والديانة اليرهمية كامتلاء الكتب الصينية منها في مذهب كونفوشيوس والفارسية في مذهب زوردرشت

ويسرع المسيح مؤسس المسيحية خدمته المرأة خدمات جلي واففقت على خدمته من ماله الخاص ودهنت قدميه بالطيب تكراراً او قبلته في بيتها وآوته ولا زمرته حتى في اشد ايام نكبه عندما فارقه الرجل خوفاً من شر الكهنة والفريسيين وتبته الى سهل الصاب تنوح عليه بلا جزع وشيعته الى القبر واعدت جلسته الخنوط والطبايب واكتشفت قيلمته وبشرت الرسل بها وفازت بشرف الترامي لهما قبل الرجل كما يصرح الانجيل عن مريم المجدلية ومريم ام يهتوب ويونا امرأة وكيل هيرودس الملك وسالومة وسوسنة وغيرها من رفيقات السيد على الارض

والرسل والمبشرون الذين نشروا الديانة المسيحية في العالم استفادوا من المرأة كثيراً لاسيما بتخبيتها لهم عن اعين المضطهدين واعتناقها الايمان بسهولة وبها اياه بين ذويها بكل ارتياح وتحملها عناء الاضطهاد معهم واستشهادها في سبيل الاعتقاد مثلهم وتشيطها الرجل بالدوة والتخريض . وفي تاريخ انتشار

المسيحية بين الامم ادلة واضحة على فضل المرأة في الدين وخدمتها له وتأثيرها العظيم

لما شئت الاضطهاد التلاميذ ذهب مريم المجدل الى رومية وشكت الى طيباريوس قيصر صلب يسوع ظلماً وعدواناً فاستحضر بيلاطس وروساء الكهنة وجازاهم بالقتل ثم استصدرت منه امرأ قاضياً بالموت على كل من يريد اضطهاد المسيحيين وهكذا كثر اليهود عن الاضطهاد واستتب السلام لكنائس اليهودية والسامرة والجليل وصار يزداد عدد المؤمنين . كل ذلك بفضل سعي مريم وهو من مؤيدات المسيحية ومثبتات اركانها كما لا يخفى فضلاً عما تلاه من سعي النساء لهذا الامر في ما بعد

فاول من اعتنق دين المسيح في مكدونية على عهد بولس الرسول ليديا بياعة الارجوان : وام يصر للمسيحيين دولة رسمية يعتمدون عليها فتصونهم من المضطهدين وتؤيدهم وتمزجهم الاعلى عهد قسطنطين الكبير ملك الرومانيين نجل الملكة هيالانة التي سمعت جهدها لنشر المسيحية وصيانة اتباعها من الاضطهاد واكتشفت الصليب في اورشليم واهميته معروفة عند الارثوذكس والكاثوليك وكانت مرغبة لابنها في التنصر وغيرة جداً على تأييد الدين وتعزيزه حتى اعتبرتها الكنيسة قديسة وهي اول ملكة نصرانية نالها نعمة التطويب واول من اعتمد من نسل ملوك الغالين اجداد الفرنساويين طفل ولدته كلوتيلدا قرينة الملك كلوفس وهي التي بثت في قرينها الوثني روح المسيحية وحملة بالاقناع على اعتناقها والامر بتنصر الشعب كله حتى حسبوها بعدل في مصاف القديسات ولما تفاقم شر الخلاف بين المسيحيين بخصوص تكريم الايقونات والصليب وبقايا القديسين تداركت الامرايريني ملكة الروم وعقدت بعنايتها مجمعا عظيماً في مدينة نيقية اشترك فيه البابا والبطاركة الاربعة وايدت وجوب التكريم وبما ان نيران هذا الشر لم تنطق

بقرار هذا المجمع بان ظلت تتمتع الى ايام الملكة تاودوره ارملة تاوفيلوس
 قيصر التي حكمت بالنيابة عن ابنها فاعتمدت باطفائها واستصالتها
 ببناتها وادارتها وخلصت الكنيسة من شرها الوحيم وهي التي تنصر الصالبة
 اجداد البولونيين على عهدا وبواسطتها ايضا كما تنصرت وقتئذ شقيقة بوغورس
 ملك البانار وكانت اسيرة عندها فهذه لما تحررت وعادت الى بلادها علمت
 اخاها الدين المسيحي وحبته اليه ولم تنفك عن تحريضه على اعتناقه حتى وافقته
 ظروف فاعتقه وحمل شبهه على الاقتداء : والنور منديون تنصروا على عهد ملكهم
 زولو الذي تنصر عندما اقترن بالاميرة جليل النصرانية ابنة الملك شارل الفرزساوي
 والملك اولغا الروسية اول من اعتمد من امراء الروس واميراتهم واول قديسة
 دون اسمها تاريخ كنيستهم فانها سارت الى القسطنطينية واعتمدت في كنيسة
 اجيا صوفيا العظيمة وحاولت جدها تنصير الروسيين وجعلت المسيحية مذهب
 الدولة ولم تنلج سوى انها عززت المسيحيين وكرمتهم وهيات شعبا يتبول مذهبهم
 حتى لما اراد ذلك حفيدها لماك فلاد مير بعد ما اعتمد حيث اعتمدت واقترن
 بالاميرة حنة شقيقة ملك الروم كان الاقبال وافرا والتنصر بالغ الحد والصينيون
 اشرقت عليهم انوار الانجيل من زمان قديم ولكنها لم تنتشر بينهم كثيرا لموانع
 عديدة ولم يهنأ عيش المنتصرين منهم قبل اليوم الا عندما تنصرت ملكة منهم
 قبل نهاية القرن السابع عشر للمسيح . والهو تنصرت البرابرة سكان افريقيا الجنوبية
 عندما استعبدتهم المهاجرون الدانمركيون وحالو دون وصول المبشرين اليهم ليخلو
 لهم الجو بتسخيرهم واسترقاقهم وبعد ان وصلو رغما عنهم ابدوهم مدة خمسين
 سنة لم يخلوا اي الهو تنصرت من عجوز بقيت محافظة على نسخة من الانجيل
 اخذتها من جورج سميدت المبشر الجرماني . ولما كان المبشر الانكازي موفات
 سائر للتبشير في بلاد ناماكو في افريقيا الجنوبية كانت النساء تأتيه بالابن للشرب

حالمًا يصل اليث ليرتوي وكان مرة يعظ في قورومان فتوقفت النساء عن اتمام
 حلب البقر والنعاج ووقفن مصغيات وبايديهن آية الحليب . ولما انتهى وجلس
 ليسترريح وياكل عاد الناس يطلبون موعظة ثانية فاستمهم لهم نصف ساعة لانه
 جائع فاسرعت احدى نساء سيد القبيلة واتته حالاً بكاس لبن ليقوى على التكلم
 كثيراً كما قالت له . وامثال هذه الحوادث كثيرة في التاريخ المسيحي
 فليأمل المنصفون

ومحمد الرسول صاحب الشريعة الاسلامية نفعت المرأة نفعا جزيلا فكان
 يتاجر بما لها قبل الرسالة فيستفيد مالا واختباراً وبعدها كانت عوناً له في مهماتها
 وقد ساعدته على اظهارها واذاعتها واعتمد عليها في نشرها وقال لتومه - خذوا
 نصف دينكم عن هذه الحميرا - وهو يريد زوجته عائشة لما كان لها من
 العلم والفضل والنفوذ والتأثير . وقد قال الامير علي - لولا المرأة ما صار
 الاسلام قوة حية : فانه قبلما عرف النبي حقيقة ما دعي اليه لما كان
 مرتباً في حقيقة الاصوات التي كانت تناديه هل هي من الله او من
 سواء - لما كان في حالة اليأس والقنوط في ذلك الحين بادرت اليه
 زوجته خديجة التي كان يحبها ويكرمها فطيت قلبه وشددت عزائه . ثم
 لما قاوم اعتصاب ذويه عليه وبغضهم له ووقفت بجانبه هذه المرأة الفاضلة
 ام المؤمنين وشاركته في السراء والضراء بل كانت اول من آمن به حين
 هجره كل احد . وكانت فاطمة ابنة النبي تجمع الصحابة والانصار رجلاً
 ونساءً في بيتها او في المسجد وتتموم فيهم خطبة بالوعظ والانذار ولا
 يزال كثير من مواعظها محفوظاً حتى اليوم وفيه ما يعود بالفخر وكانت
 نساء بني امية تتقاطر الى المساجد ليسمعن خطب الخلفاء والعلماء ويتعلمن
 الفقه والتفسير ويعلمن اولادهن : ومن يراجع تاريخ الفتوحات الاسلامية

المؤيدة لمر الاسلام يري للمرأة اثاراً مشكورة افادت المذهب المحمدي
افادات مذكورة . هذا فضلا عن خدمتها للرسول في حياته خدمات ماثورة
وبعد قتل الحاكم بامر الله ولي الدروز الاعظم تولت شؤون قومه
اخته ست الملك الى ان بلغ ابنه سن الرشد وكانت ذكية عاقلة حازمة
افادت مذهبها افادات ايده الى اليوم

ولو شئنا نعدد اسماء الالهات ونحصى عدد الكاهنات والنبيات ونذكر
بالتفصيل كل الشهيدات والقديسات والوليات عند كل الامم قديمها وحديثها
لضاق بنا المقام مهما فصح واحتجنا الى وقت اخر وصفحات لا نحصى . هذا
اذا كان ذلك بالامكان بيد انه مستحيل

كلمة الى الحسناء

للمرة الاولى تحظر الحسناء في انحاء الشرق لتنفقد احوال بناته وتسال من فيه
عن ذوات القناع

للمرة الاولى تسمع حواء الشرقية دمة الذل والياس وترفع انظارها الى
العالم المضطرب فتراه عيونا شاخصة اليها ثم يرنو بطرف كبير كمن يستجير
ويسترحم فتندهش من رؤيته بهذه الحال لعلها انها لا تستطيع ان تبدي شيئاً او
نأني امراً بمساعدته وهو عالم بقدرتها ومقدر قوتها واستطاعتها .

اي ايها الحسناء ان فتيات بلادنا اللواتي اغلق عليهن باب التجب والتستر
ليلقى في قوسهن بذرة التهامل والخمول او ليدفعن الى حب التقليد الاعمي . سوف
ينظرن من وراء النوافذ الى اشعثك الباهرة واشرافك الزاهي فتدب الحرارة وتلمس

قلوبهن فيندفعن الى الظهور وعندها يعرف العالم ان في الشرق حسناء تضيء ساحاته وتنير ظلماته وتهذب اولاده . نعم ايتها الحسناء ان الاشعة التي ستبعث من لظي ظهورك ستنمكس على كل ذي عين نجلاء . وبسم دري فتلمع ذكاء . وتبسم حبوراً ويفتر وجه الشرق طرباً وسروراً

لان عليك وحدك ايتها الحسناء يتوقف امر المستقبل . لقد انتهى الكل عنك واشغلتها السياسة المضطربة عن الاهتمام بهذيك . لقد ذهبوا يحركون همم الرجال ومادروا انه يوجد قلوب لا تلمس وادمغة لا تلتهب وان تشديد الهمم وقوة لمس القلوب قد انطأ بك فكلمة من شفئك تقدر ان تصير الجبان شجاعاً وتدفعه الى بذل اخر نقطة من دمه في سبيل الاصلاح

فان كنت زوجة ايتها الحسناء فتعفي في وسط هذا البحر المعجاج وعلمي الرجل وقولي له ان الذي يبخل بدمه على مصلحة الوطن انا احتاجت الحال فذاك لادمة له ولا شرف . وان كنت والدة فمدي عينك الى سرير طفلك الصغير وعلميه ان الانسان لا يحصل على النوم اللذيذ الذي هو نتيجة التعب وراحة الضمير ما لم تهزه التجارب ويسرع الى اتمام ما يمليه عليه الواجب . وان كنت عذراء فقبلما تفتحين قلبك لشاب لتقبلي سعادته السرية حر كى بصوتك الرخيم اوتار عقله والمسي بسحرك كامنات فؤاده وادفعيه الى ساحة الخدمة قائلة له - ان الفتاة الشرقية التي تعيش في ظل الدستور المقدس لهي غير الفتاة التي كانت تريد ان تحجب حبسها عن انظار العالم

قولي له احب الي ان اراك خسرانا او ان ارى فيك اثر جراح مندملة اصابتك نلقا مدافعتك عن الوطن او دامية اضمدها بيدي من ان ارى زهرة ترين صدرك يستر ذكاؤها عن انفي نسمات خيانتك ويرودتك في خدمة الصالح العام
يمكنك ايتها الحسناء خدمة وطنك ونفعه جزيلاً واذا عجزت يدك الضعيفة

عن حمل السلاح فتسلحى بلحاظك وارشقى بسهامها قاب كل من ينظر اليك
بجراحة والى الوطن يبرودة

اما انت ايتها السائحة فادخلى الى المخادع ادخلى وهناك ترين ماتفعل الحسان
داخل تلك المقاصير الكيماوية وعند ما تخرجين افتحي النوافذ ليتجدد الهواء وارفعي
الستائر لتدخل اشعة الشمس المبهرة - شمس الحق والفضيلة - ودوسى صناديق
السموم التي تمتص من الفتاة جمالها وحطيمها وشعل في قلبها شعلة من الحب
الصادق والوطنية الحارة وعند ذلك تبدو لنا الاعجوبة العظيمة ويومل من الشرق
ظهور العظماء الذين عددهم قليل في بلادنا وهم الذين نرى في ايديهم سيف الحق
لامعاً وشمس اخلاصهم باهرة - انما واسفاه فهم ولائل : اشرقى اشرقى ايتها
المرسلة من العالم الغير المنظور عالم الفكر القاطن في . وطن الاعصاب وبشي
بسوريا وبالشرق كله من روح هذا الحسن الرائع وابالمال الفاتن ليهناء الحسان
بحسنائهن وليتم الله كل قصد انشى . لتعزيز الوطن وترقية ابلائه .

دمشق

دمشق

ملككم المرأة

حديث في السياسة المترجلة

لا دولة ولا مملكة تملكها امرأة كما تملكه دولتها وسلطانها على داخلية
وتزها فاية سيطرة واية ساطة تفوزان بعواطفها كما تفوزان بسيطرتها وتوذها على من
حولها من الاعضاء وفلذات الكبد عندما تشعر بان ما بين يديها الاذليتين . من الساطة انما
هي مصروفة لاسعاد اولئك الاعزاء المنجيين والمجبوبين

مما يوجب الدهشة والاستغراب ان المرأة مهما كانت وضعية حقيرة ومهما كانت غلطات الهياة الاجتماعية في حقها وخصوصاً في الشرق حيث ضاقت حريرتها وعضمت حقوقها فهي لا تزال قادرة ان تدعي الملك في المنزل وان تستعمل سلطانها هذا في سبيل نشر الوية السعادة والهناء فوق رؤوس رعييتها العزيزة

فالمنزل مهما ضاقت ارجاؤه والبيت مهما اظلم مضائوه فهو دائماً ابداً يستنير مشرقاً بابتسامة من ربه. ومثلها فيه مثل الشمس المشرقة التي تبعث اشعتها بالحرارة الحيوية وسرور الصحة الى ما في الكون من الموجودات فابتسامة المرأة تبعث منها اشعت تنشط الفوس وتطيب القلوب كيف لا واهتزازات اثير تلك الاشعة انما هي المحبة الخالصة والحنو رقيق والوداد الثابت

اجل فاولاد الام الحنون وزوج المرأة الودود ليحملون دائماً ابداً على جباههم سيماء الفرح والسرور وعلائم الارتياح والجور ويكونون مهما شتدت عليهم وملاءة الحياة ومتاعبها ناعمي البال قريري الخطر كيف لا وهم يشعرون ان لهم من منزلهم مأوى اميناً هادئاً وان لهم من ربه ملاكاً حارساً ساهراً على راحتهم اثناء الليل واطراف النهار لانها تجد من قلبها وعواطفها الف دافع يدفعها الى اقرب الطرق لتخفيف آلام الوجود على اعزائتها ولدرد صعوبات الحياة وواجاعها عنهم فتزيل بحنوها العقوبات التي تعترض نمو اجسادهم ونشوء وارتقاء عقولهم ومداركهم برغم ما تكون فيه من الضائقة المادية والعسر المالي ان كانت من قليلات المال وبرغم الملاهي والمسرات الموفرة لديها ان كانت من المعرضات لغواية الثروة ودوار المال

فاسعاد الزوج والولد يجب ان يكون المحجة الكبرى لمساعي كل امرأة تستحق الوصف بانسانية في هذا العالم فمتى نحت هذا النحو وسعت هذا المسعى تكون قد قامت باجل امر واقدس عمل وجدت المرأة لاجله في هذا الكون اذ به وحده تجد هي نفسها سعادتها الحقيقية وبواسطته فقط تلقى الهناء وراحة النفس وسعة الصدر

واكم يكون خطاؤه عظيمًا وغلطها قادحاً ان هي جعلت همها الوحيد وشغلها الشاغل مجرد التزين والتبرج مستسلمة لشیطان « المودة » لا يهبها سوى البحث عما يزيد

جمالها رواء وحسنها بهاء فتعجل في سبيل هذا العرض الزائل زوجها واولادها الذين لا يلبثون هم ايضاً الا ويعرضوا: امهين امره فتعصر احترامهم ومودتهم خداة لا يعوضها عنها اعجاب الآخرين بها واستحسانهم جمالها. وما احقر ذلك الاعجاب الذي يبدو للحسناء من جواهر لا يهيم من امرها شيئاً وما اكذب ذلك الاستحسان الذي تسمح عبارته من افواههم برورها بهم فهو لا يدوم اكثر من دوام توجات الهواء بالثبرات ثم يزول كما تزول تبعات اوجدها سقوط حصوة على صفحة الماء الراكد. فكل ذلك مما لا يجبر كسراً ولا يشح صدرها اذا ما مستها يد الصائب والاحزان اورماها الدهر برزينة لا يخفف وطأتها سوى القلب المشفق والنوادر المتأثر المشاطر بالالام والاحزان.

اجل سيدي ان ما تحتاجين اليه هي تلك النظرات المملأى بالحو والانعطاف يرو بها اليك رب بيتك وشربك عمرك. ان ما يتطلبه قلبك وتبتغيه جوارحك هي تلك الاذرع الصغيرة تحوط عنقك وتلك الشفا الرقيقة تقبل وجنتيك. وتلك العبارات المتقطعة يتلفظ بها اصغر اولادك شاكرها عنائك وحسن اهتمامك. اجل سيدي ان هذه هي الامور الوحيدة التي تجلب سعادتنا نحن النساء وتسبب هواننا وهي لا تأتي اعباء وبدون مشقة ونحن جالسات على مسند الراحة متجليات باثواب الدمشق والحرير متعطرات متبخرات بل انا تأتينا عن طريق ملوئ العناء والمشته وانكار الذات وتقدير صالح من يحيط بنا اوراحتهم على انفسنا ناسين ذواتنا. قائمات على ترتيب بيوتنا ومعاينات اصغر الامور واحترها الى اعظمها واسماها بذواتنا غير متكلمات على خادمة اوطاه الا بتايخف لنا بعض متاعب الخدمة البيتية لأكلماتها. ساهرات على النفقات بحيث لا يزيد صرفنا على دخلنا. مقتصدات (القرش الابيض الى اليوم الاسود) بشرط ان لا نضيق بتوفيرنا هذا على الاهل والولد بجاجياتهم التي لا يمكن الاستغناء عنها يظهروا بظاهر الترتيب والنظافة سالكات بامور ملبسهم ومطعمهم بحسب الدرجة التي اوجدتنا بها الاقدار في الهيئة الاجتماعية العائشات نحن فيها. ومتى قمنا بذلك (ولكن دون ان نفعل ذواتنا بالكيفية بل علينا ان نلتفت من وقت لآخر اكل ما يحفظ جمالنا وبيوتنا متمتعات بالصحة والعافية التي انما اهلنا امرها) نكون قد خدمنا بيتنا واولادنا بقدر ما نوسنا. فنستطرد الحكمة رائدنا

في كل أمورنا اليومية والرشاد قائداً ولنُدرك بالصبر والثبات نجد أعمالنا بعد حين قد تكملت
بالنجاح . اذ تقدم الوطن العزيز رجلاً ونساءً اشداء اقوياء . يتمكنون من قنعه وخدمته
عندما تشدد سواعدهم وتقوى عضلاتهم وتتقدم مداركهم . وفقنا الله وياكن لكل ما يسعد
بيوتنا ويزيدها سعة وترتّبها بآثره بذلك مملكتنا وترهر ويخيم فيها السلام وتخفق عليها
اعلامه

يافا

استيرمو ايال

...

المرأة العثمانية والدستور

تعت المرأة العثمانية الاحرار الدستوريين نقماً جزيلاً وجاهدت في سبيل الدستور
والحرية والاستقلال جهاداً نبيلاً . فخدمت بذلك الوطن والانسانية خدمة جليلة واثرت
بأعمالها تأثيراً جيداً يذكر لها بالشكر ويقر لها بالفضل اخصها التركية والارمنية واليونانية
ومن جرت مجراهن من بنات الالبان والشركس والبلغار فضلاً عن الاوروبيات
المتعثمات العقائل والمربيات والمعلمات

فكانت تساعدهم بالمال والجاه والنفوذ وتعاونهم بالرأى والادارة والتدبير وتخدمهم
نفسها دون اعتماد على رجل فتصل بين افكارهم الحرة بنقل المراسلات وتكثفهم من
التفاوض عن بعد والتداول بالاراء على تباين بالمسكن وتفاوت بالوظيفة والمقام اذ كان
الاجتماع منبهاً لسوء ظن الظالمين والمجتمعون مطحاً لابصار الجواسيس وعرضة للسجن
والنفى والقتل . وكانت تبث روح الدستور في المستبدين وتحاول تنظيف قلوبهم من
ادران الجور واقناعهم بوجوب مناصرة الاحرار والانضمام اليهم للعمل واياهم على حفظ
مقام الدولة وصيانتها من التقسيم واصلاح الامة وتقويتها وتأييد العدل والحق واطلاق
الحرية وتعزيز الاستقلال . وكان زعماء تركيا الفتاة والاتحاد والترقي لثقتهم بها يعتمدون
عليها بذلك لاسيما لما يعجزون هم انفسهم عن بلوغ المراد . ولكم من عدو لهم صادقهم
ومن جاهل بهم عرفهم ومن خطر اتقوه بواسطتها حتى استجقت بعدل ان نعدّها ملائكة

الدستور

مع ما قامت به من ثرية الناشئة الحديثة على ما يؤهلها قبول هذا الانقلاب العظيم وتجربتها إياها على الإقدام عليه بلا وجل والاستبسال لتأييده وفدائه بالنفس والاهل والمال. وحسبها فضلاً تأثيرها بعواطف الرعايا وتلطيفها اخلاقهم وتهذيبها قلوبهم حتى فازوا بامانيهم دون هرق دماء واستطاعوا احترام العقل والقلب معاً واسترشدهما في معاملة المتقهقرين حتى بعد فتنة نيسان وتأكد خيانة السلطان وتثبت عزم المستبدين على الرجوع الى الماضي مهملاتهم الامر قتلاً ونهباً ولو آل ذلك الى خراب الدولة وما هم الا يوتوم بخربون ولا يخفى ان المرأة العثمانية التي ناصرت حزب الاصلاح هي متعلقة مسنيرة ومتهذبة راقية ذات عواطف وطنية انسانية ونفس كريمة تحب الاستقلال والحرية. اشتهر كثير منها في الجهاد لاعلان الدستور شهرة جلية وبلغ صيتها اوربا واميركا فاقترن اسمها بالاحترام كالاميرة نازلي هانم كريمة مصطفى فاضل باشا مؤسس حزب تركيا الفتاة وحفيدة ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا الكبير صاحب مصر ومحررها من رق المماليك وعقيلة خليل شريف باشا احد سفراء الدولة في باريس ومن وزراء خارجيتها فانها انفتحت مالا وافرأ على الاحرار وتغنمهم بجاهها وبث روح الدستور بين قومها بنشر الكتب والمباني اللازمة وجاهدت بكل قواها لتحقيق امانها بتقيد الحكومة باشورى وتحملت الاضطداد بشهامة وجراة ونشاط وكتابتها للسلطان عبد الحميد مشهور وقد كتبته اليه منذ عشرين سنوات تستلفت انظاره لفساد التأصل في الدولة وتنبه افكاره الى الاسراع بالاصلاح حذراً من فوات الفرصة وخامة العاقبة حين لا ينفع الندم. وسلمى هانم شقيقة احمد رضا بك زعيم الاتحاديين ورئيس مجلس المبعوثان كانت عوناً لاجيها في الجهاد وساعداً له على دفع العثمانيين للنهوض من وهاد النائم والثورة ضد الظالمين وذلك على الاخص باثارة افكار الهوانم وحمون على مقاومة الاستبداد الخاص والعام بل كانت منشطة له على الثبات ومرغبة له فيه ولما بلغها ان اعوان السلطان عبد الحميد يحضونه على الرجوع الى بلاده والسكوت عن الانتقاد وقبول وظيفة مهمة وعدوه بها مع الوف من اليرات بادرت الى تشديد عزمه بكتساب مرضته فيه على الرفض

وتوعده بالتبرؤ منه الى الابد اذا قبل الرشوة واسرعت حالاً من الاستانة الى باريس ولازمته حذراً من ان يتمكن احد من التغلب على ارادته ولم تبعاً بما عاتته واياه من العسر والضيق بل رضيت بكل عناء حباً بالدستور. كذلك عقيلة السلطان المراد الاجنبية الاصل وعقيلة محمود باشا الداود والددة الامير صباح الدين رشيدية عبد الحميد كادتا من جملة اللواتي ساعدن الدستوريين على قلب الحكومة المستبدية ومثلها بعض هوانم يلدز ومن نحو عشرة اعوام تحسست احداهن وحالت بنفسها قتل السلطان تحليصاً للعثمانيين من جورهم فقبض عليها وضربت شهيدة غيرتها اقرمية كما ضحي غيرها من اللواتي اشبهه بين في القصر وكانت بهن تبهل كل الجول مناصرة رفيقاتها للاحرار

ومن اللواتي ساعدن الدستوريين في جهادهم الشريف مساعدات جلي اميرتان كردية والبالانية حتى انها لم تعدا تسطيعان البقاء في الاستانة فهربتا الى اميركا خوفاً من القتل ولا تزالان فيها ومثلها ثريا هانم كريمة نضوح بك احد ولاة بيروت فهذه عادت الى بلادها وكانت تسير في مقدمة الجيش الدستوري تنادي بالوطنية وقد وقفت احدى الاميرات التركيات نفسها لمعاونة الاحرار بغيرة مدهشة ونشاط وافر. وفي اول عهد الدستور عندما اتفق الباشاوات مدحت وعوفي ورشدي وشيخ الاسلام حسن خير الله على خلع السلطان عبد العزيز لياسهم من الاصلاح على عهده كاد يملن امرهم ويخيب قصدهم ويقتلون ضحية الشورى قبل بلوغ المراد اولاً امرأة حرة تحب الامة اكثر من السلطان علمت بانه يكاد يعلم بالمؤامرة فينجو منها فبهت مدحت واكدت له الامر فبادروا حالاً لتنفيذ القرار فتم لهم ما ارادوه

وكانت الكتابات التركيات مهمات بكتاباتهن بالاصلاح الاخلاقي الاجتماعي وقيمة النفوس للدستور بقدر ما تسمح لهن المراقبة من اشهرهن الهوانم فاطمة عليه كريمة جودت باشا المؤرخ المشهور ونيكار كريمة عثمان باشا الغازي وفريده وخالده صالح وبعد ما أعلن الدستور قد اهتمت المرأة العثمانية بالعمل على تأييده اهتماماً جيداً يزداد يوماً عن يوم. ولم تتأخر عن حضور جلسات البعوث استطلاعاً لمناقشاتهم بل بادرت الاكاديمية الأوروبية الراقية واول من حضرت الجلسات الاولى الاميرة نازلي هانم

ولما انقض المستبدون على الاحرار في نيسان هذا العام واضربوا الثورة للفتك بهم واحتجت الامة على ذلك كان من جملة المراكز المحتجة جمعية النساء في قاضي كوي .
وعندما افتتح الدستوريون الاستانة على الاثر كانت المرأة في وسط الملامع تدوي الجرحى وتعزي النفوس وتحيي الجيش وهو سائر في الشوارع وتثر الزهر بلمه تشيظاً له

...

وهذا ما وصف به الرصافي بعض نساء سلانيك عندما زحف جيش الدستور الى فتح الاستانة

من سلانيك الى الاستانة

مشوا والوالدات مشيعات	خرجن وراءهم والوالدونا
يقلن وهن من فرج بواك	وهن من حزنهم متبسونا
على الباغين متصيرين سيروا	وعودوا للديار مظفرينا
ولا تبقو الذين قد استبدوا	وراموا كسيدنا وتخنونا
فان لم تقذوا الاوطان منهم	فلستم يا بنين لنا بيتنا
فقد هاجوا على الدستور شرا	بدار الملك كي يستعدونا
هم الاشرار باسم الدين قاموا	فعاثوا في المواطن مفسدنا
فما تركوا من الدستور (شورى)	ولا ابقوا لنعمته (طيننا)

...

وكم قد قلن من قول شجي	لهم فتركهن متبيجيننا
ومذحان الوداع دنون منهم	فقبلنا الصوارم والجفونا
وما انسى التي برزت وقالت	وقد لفتوا لرويتها العيونا
الايا راحلين لحرب قوم	لنام ضيعوا الوطن الشميننا
خذوني للوغى معكم خذوني	ممرضة لجراحكم حنوننا
وان لم تفعلوا فخذوا ردائي	به شدوا الجروح اذا دميننا

حفظ الصحة

الوقاية

حقيقة ايدها العالم وثبتها الاختبار فأكدها الناس ولم يبق لهم مجال للريب فيها حتى ولا حاجة للافصاح عنها لولا التغافل والنسيان . وهي ان الوقاية خير حافظ للصحة وافضل مويد للعافية واحسن مانع للمرض لا يقوى عليها داء ولا يغني عنها دواء . ولا بد منها لكل انسان على الاطلاق مهما كان واينما كان الا اذا احب الضعف ورغب في الألم قبل الشيخوخة والمهرم ولم يشفق على ذاته من ظلمة القبر ولا على اهله وذويه من مضض التمريض والتأثر والحزن

هذا على ان تكون الوقاية صحيحة صحيحة لا كما يتوهمه البعض من انها عدم التعرض للهواء والشمس وغيرها من عناصر الطبيعة الضرورية او الاستسلام للراحة والبطالة بلا شغل ولا رياضة او التمتع بشؤون الحياة والتمادي في الرفاهة والتنعيم والتباعد عن النوااميس الطبيعية بل هي التحفظ من مضغفات الجسم ومثلقات قواد والعمل على تقويته وتوفيرها مثلاً يناسب خلقاً وخلقاً

كان الدكتور فاندريك الفيلسوف الشهير يردد جملة مأثورة - درهم منع خير من قنطار علاج : وكل اطباء يجاهرون بهذا الحق الصريح المؤكد وبديهي ان لكل شي اسباباً توصل اليه ولكل سبب نتيجة لا بد منها . فن يتقي اسباب الضعف يظل بعيداً عنه . ومن لا يصون صحته يفقدها ولا يدوم له شي . منها . والداء مهما انتشر واشتد لا يصيب الا المستعد لقبوله ولا يفتك الا بالضعيف العاجز عن حمله

يعلم ذلك الانسان ويستحسن الاعتبار به لان الصحة رغبة كل حي ومطمح كل نفس بيدانه لا يستطيع الوقاية الكافية لما لاهوائه وعاداته من التأثير عليه والتمكن منه ولا عبرة بمن شذ عن هذه القاعدة وخالفها فانه قليل نادر والنادر لا يقاس عليه

فالسبيل اذا لتعويد الناس على الوقاية تربيتهم على اصولها من صغر وقرينهم عليها في الكبر ولا افضل ولا اولى من المرأة بالتثنية على هذا الامر فهي بادرتها المنزل تستطيع وقاية العائلة من الضعف وتقويتها على المرض وتربيتها الاولاد تودهم على ذلك على ان تحسن القيام بواجباتها المنزلية والامية احسانا صحيحا يقبله العقل ويرضى به العلم

تدبير المنزل

النظام

لا بد لتدبير المنزل من نظام شأن كل عمل ولا مجال له للتخلص منه والاستغناء عنه مهما كان مبلغ حاله من العسر والبسر تلافيا له من التشويش ومنعا للخلل لان بالنظام يستتب الترتيب على ما يرام ويمكن الاحتفاظ بما يارب المقام والامكان وبدونه لا يستطيع سيدة تدبير منزلها كما ينبغي ولا تقوى على اعداد شؤونه في حينها ولقائها كلها وصيانتها ولومهما اوتيت من الذكاء والتفنن ورزقت من المواهب والنعم

اذ لا مشاحة في ان الاعمال المنزلية كغيرها من جميع الاعمال متوفرة الاقسام متعددة الانواع متفاوتة بالضروريات والكماليات ذات مقدمات واسباب ونتائج متصلة بعضها ببعض ومحتاج كل منها الى الاخر في اوقات

مختلفة لمنفعة الكل . والتوفيق بين هذه الامور ومزجها بصلة الافادة المشتركة وتوحيد الغاية منها لا يكون الا بنظام مناسب يعتمد عليه في الشغل ويرجع اليه والائتمت الفوضى وساءت الحال

فالنظام ضروري جداً لتدبير المنزل وهو اول واهم ما ينبغي الاهتمام به قبل الاقدام على التدبير ليكون هذا مستوفياً شروطه حذراً من اتيان الامور بغير اوقاتها بتقديم ما يجب تأخيرها وتأخير ما يقتضى تقويمه وخلط بعضها ببعض واعتماد العرض دون الجوهر وجموح النفس الى ما لاحد له وعدد تطبيق النفقات على الايرادات وتضييع معظم الوقت بلا جدوى بخلاف الاعتماد على نظام موافق يقرر بعد التروي والامعان ويثبت بعد الاختيار والتمحيص

ولا خلاف في ان تدبير المنزل بلا نظام اشدّ تعباً للمرأة وقل استفادة وافادة واوفر عناء من تدبيره بنظام بل هو متلف لا تنوى العاملة اكثر مما يقتضى نوع العمل ومقل من اوقات الراحة ومؤخر عن تميم جميع الواجبات المنزلية والتفرغ للاجتماعية والعمومية والانسانية . تتسأل بعض السيدات المنهكات بالشغل المتواصل عن وفرة اوقات الفراغ التي تتمتع بها غيرهن للراحة الضرورية وللتنزهة او للمطالعة وتتوهمهن مهملات منازلهن جائحات الى البطالة والكسل على ان لاشئ من هذا وانما هو اعتياد النظام ومراعاته بالدقة

وكل سيدة بالاكمال على الله والاعتياد على نفسها ومعاونة قرينها واسترشاد صديقاتها الرقيات تستطيع جعل نظام لتدبير منزلها مناسب لاحواله تعتمد في اشغالها المنزلية قليلاً لاتعبها وتوفر لراحها . ولا يستحيل هذا الا على قصيرات النظر قليلات الروية وفاترات الهم او الطائشات

اثار ادبية

النجوى - رسالة ورواية الى نساء سوريا بقلم فليكس افندي فارس منشي .
 جريدة لسان الاتحاد خاطبين بها خطاب شاعر متألم من مفاسد الحياة العائلية
 والهيئة الاجتماعية لعدم التثام العواطف في الارواح بين الجنسين معتقد بقوة المرأة
 على اصلاح الرجل بحجاساتها الكريمة وبانها اهل للسمو بما فيها من قوى النفس .
 مستكف من الخداع منتصر للمخدوعة : فاصل بين قشور الحياة ولبابها متعمد
 النصيح بما يرتأيه حبا بنجر زهرات الاسر وربات البيوت وبما يرجى من نفعهن
 عبرة وذكرى او كلمة حول الشورى - مجموع مقالات وقصصيتين للدكتور
 ايوب افندي تابت بحث فيها بحث عالم سياسي في الشعب والملك والثورة وفي
 حقوق الانسان وذنو السلطة وتقييدها وحالة الدولة قبل الدستور وبعده ومنزلة
 جمعية الاتحاد والترقي فيها وتكرم بجمل ريعها مساعدة لجرحى الجيش الدستوري
 فاتح الاسناتة

النعمة - مجلة دينية علمية اخبارية تصدرها البطاريركية الانطاكية
 الارثوذكسية في دمشق تبحث في الدين والعلم والادب والصحة والاخلاق
 والاجتماع وال عمران وتتضمن اخبار البطاريركية والاسقفيات التابعة لها والكنائس
 المسيحية كافة

الكوثر - مجلة علمية فنية سياسية لصاحبها ومحررها بشير افندي رمضان
 تتناول المواضيع المهمة الراقية المناسبة المصلحة الامة وخيرها وتتعمد الاستقراء
 والاستشهاد بالاداء والمأثورات الجلى لخدمة العلم وتهذيب النفس
 المورد الصافي - كياب يؤلفه الاستاذ جرجس افندي الخوري المقدسي

في الكلية السورية من اقصى شذرات الكتابات العلمية التهذيبية لكتاب مشاهير
في اللغة الانكليزية مثل اللورد افيري وسميرز وستول وهلس ومير وغيرهم من
السوريين ايضاً وسيصدر اجزاء متتابعة
وجميع هذه الآثار الادبية تناسب مطالعتها للجنس الطيف بل هي ضرورية
له اخصها التجوى

مأثر سيدات الاستانة

انشأت عصمت حيدر هانم مدرسة للبنات سميتها مكتب الام
الفت بعض السيدات الارمنيات جمعية للاعتناء بيتامى ضحايا حادثه اذنه الفظيعة
تألف جمعية لاقتناع السيدات بلاقصا والاكفاء عن زيادة التائق في
الملابس والحلى التي يعجز عنها متوهمطو الحال

شكر

تشكر الحسنة جميع الجرائد والمجلات على ما تفضلت به تنويرها بذكرها
واستقبالاً لها مما تعده تشيظاً مستوجباً جزيل الشكر

ملاحظة

ذكرنا في الجزء الاول من الحسنة كما بلغنا ان سيدات حمص جمن نحو
خمس عشرة الف غرش لاتمام معدات مطبعة وجريدة والصواب انهن جمن زهاء
ثلاثين الفاً لمدرسة داخلية فاقتضت الملاحظة

اقوال في النساء

المفيد للمرأة مفيد للرجل - اميل دي جيراردين
تهذيب المرأة تهذيب للهيئة الاجتماعية - ميشليه
اذا قرأت المرأة كتاباً فكأنما قرأه زوجها واولادها - لامرتين
حكم وارا.

القدوة تؤثر اكثر من الكلمة - سنيكا
نسيان الشرائع علم للانسان - اتشينوس
ليكن كلامك بين عدوين ما لا تستحي به لو تصالحا - السعدي
مأثورات

تتربى اسرة سافوى المالكة في ايطاليا على القوة والنشاط حتى قيل ان
سافوى والخوف لا يجتمعان، فاتفق مرة ان هاج البحر والملكة مرغيتا مسافرة
فيه فخاف الربان وارتأى مع الضباط الرجوع الى البر فاستشاروا مولاتهم وكان
بيدها ورقة بيضاء فتناولت قلماً وكتبت لملها يجب ان تسير سافوى دائماً الى الامام
سأل فردريك وليام ملك بروسيا كريمته فردريكا السكير الشرس المستبد
وهي في الخامسة عشرة ومخطوبة للمركز انسابخ عما تنوي عمله في ادارة منزلها
العتيد فاجابت انها تجمل طعامها احسن من طعامه وخدمها اكثر ترتيباً واذا رزقها
الله اولاداً عاملتهم بالحسنى على غير ما يعامل به اولاده ولا تجبرهم على اكل
ما يكرهون

عندما حكم بالاعدام على ليفود في الثورة الفرنسية بذلت عقيلته الجهد
لدخول السجن فالبسته ثيابها ولبست ثيابه فتمكن من الخلاص وفي القيد لما
انكشف الامر صاح بها زعيم الثوار الفظ الفاسي ماذا فعلت ايها الشتمية فاجابته
بجراحة - فعلت الواجب علي فافعل ايها الجلاذ الواجب عليك